مركز دراسات المعرفة والحضارة
Center of Knowledge and Civilization Studies

قراءة في كتاب

ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل

للدكتور محمد الناصري

موسى علاوة –يوسف أوطالب

طالبان باحثان في سلك الدكتوراه

الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية

جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال

المغرب

جميع الحقوق محفوظة © 2025

All rights reserved © 2025

لجنة الإعلام والتواصل

بات العالم اليوم يشهد أزمة أخلاقية كبرى أرخت بظلالها على الإنسانية مما جعلها تدلف نحو قطب الصراع والنزاع لإثبات الذات، هذا الصراع الذي امتد أثره إلى مجالات عدة اقتصاديا وثقافيا، واجتماعيا، مما جعل من العالم حلبة لصدام الحضاري بين الأمم والشعوب، مما ولد أزمة أخلاقية وقيمية كبرى ، ارتفعت معها دعاوى البحث عن الحلول والوصول إلى المخرج من هذا المأزق الكبير الذي أصبح يعيش العالم، فوقعت اتفاقات وعقدت جلسات لكن الحال بقي على ما عليه سيطرة دول على أخرى وبسط نفودها على ثقافها واقتصادها وحضارتها مما ولد ثقافة التابع والمتبوع وكرس سياسة الغزو الفكري، من هنا كان لابد من الانطلاق من الرؤية الأخلاقية القرآنية باعتبارها الحل الوحيد والأوحد في حل هذه النزاعات الحضارية وبسط الطريق أمام قيام علاقات الإنسانية إيجابية قوامها السلم والأمن والسلام، هذا ما تفطن له نخبة من الباحثين والدارسين للحقل الفكر الإسلامي والعلاقات الدولية نذكر على سبيل المثال لا الحصر الدكتور محمد الناصري، الذي تبنى أطروحة معرفية تحمل في طياتها بعدا أخلاقيا ينطلق من مرجعية القرآن الكريم في التأسيس للعلاقة مع الآخر ،وهذا ما يلمس من خلال كتابه ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، وفطنة الباحث لهذا المفهوم كمفهوم مركزي في تفعيل المشترك الإنساني وتنزيل أصول الرؤية الأخلاقية القرآنية على قدر هام من الفاعلية، فمفهوم السلام أبعد من أن يكون مقصودا لذاته فهو ممتد في جميع الميادين اقتصاديا اجتماعيا، ثقافيا، حضاريا، مما يضمن الرقي والازدهار للحضارة الإنسانية.

إن مفهوم السلام من المفاهيم التي استأثرت بحصة واسعة في الفكر الإسلامي، خاصة في العصر الحديث، وهو نابع من الغريزة التي خلقها الله تعالى في الإنسان منذ الأزل، بحيث يوجد عند القوي ميولا إلى الاتكاء على الضعيف والاستقواء عليه والاستلاء على ما يملك إن اقتضى الأمر ذلك، وذلك ما خلق الثنائيات التي لاتزال محل البحث إلى اليوم: السلم والحرب، وتولد عن هذه الثنائية ما يسمى كذلك بصراع الحضارات.

ومن طبيعة الإنسان مما أوجده الله فيه من حاسة الرحمة تجاه الآخر عند ما يرى أنه قد حل به الضيم أن يقف متضامنا ومتعاطفا معه حتى ولو بكلمة حق ينطق بها، وهذا ما وقع ويقع في عصرنا الحاضر، إذا

بحت الأصوات بالدعوة إلى السلام لما تشاهده من الحروب الدامية الطاحنة، والاستقواء على الضعفاء في مختلف بقاع الأرض بكل الوسائل، وهذا يدعو بالضرورة إلى حفظ السلام بوقف الاقتتال وإزهاق الأرواح، وتدمير الممتلكات والثروات، وذلك بإيجاد حلول واقعية وناجعة بديلة عن النزعات القومية والعنصرية التي تؤسس للعنف والحرب، بما يجعل العلاقة بين الأفراد والدول علاقة أمن وسلام ورحمة وتعاطف، يولد العيش بكرامة وهناء.

والذين لهم القدرة في البحث في مجال السلم والعلاقات الآمنة بين الأمم؛ هم المفكرون الباحثون الذين سبروا أغوار العلاقات وعرفوا اسباب الخير والشر فيها، وخبروا مكامنها وزواياها، هم أهل الدراية والمعرفة بالمجال، فهم القادرون على تنوير الرأي بما يجري بما يظن أنه خير وهو في حد ذاته شر، والعكس بالعكس، وهم من يستطيعوا العمل من أجل سلام قائم وحقيقي، وهم من يحق لهم أن يزرعوا في عقول الناس وضمائرهم الفكرة الأبدية: ثقافة السلامة تضع أسس البقاء والاستمرار، والالتقاء والتطور.

ومن الباحثين المعاصرين، والمفكرين البارزين، للبحث في هذا الموضوع؛ موضوع السلام، والذي جمع فيه بين الرؤية الشرعية والرؤى الغربية: الدكتور الفاضل، والأستاذ المبجل: محمد الناصري، حيث أفاد فيه بكتاب جليل ومهم في بابه، أسماه: **ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل.**

ولتقريب مضامين الكتاب، اخترت أن ادون له قراءة متواضعة فيما سيأتي من السطور، مع اعترافي بالتواضع المعرفي في الميدان، لكن إن لم أف بالمقصود فأفيد القارئ والمستمع، فعلى الأقل أكون قد اطلعت على مضامين الكتاب وأستضيء بإشعاعه المعرفي البهي، وأستنير بنوره العلمي في محيطه وموقعه. وقد قدمت بين يدي هذه القراءة المتواضعة أسئلة محورية أسير على خطاها لتسهل علي إتمامها، وذلك من قبيل: من هو الدكتور محمد الناصري، وما كتابه: ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل؟ وهل لهذا الكتاب سياق تاريخي بمثابة الدافع إلى إخراجه إلى الوجود؟ وما هي المناهج المستخدمة للبحث في موضوعه؟ وكيف هي مادته العلمية التي تناول بها موضوع السلام؟

وما هي الخلاصات والتوصيات المتوصل بها؟

وسأجيب عن هذه الأسئلة من خلال المحاور التالية:

- **المحور الأول**: سيرة الكاتب الدكتور: محمد الناصري.
- **المحور الثاني**: دراسة وصفية للكتاب، الشكل، التصميم، الطبعة..
- **المحور الثالث**: السياق التاريخي والمعرفي لكتاب: ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل.
- **المحور الرابع**: المناهج الكتابة في المتن الفكري لمحمد الناصري: ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل .
- **المحور الخامس**: المادة العلمية التي تناول بها الدكتور الفاضل : ثقافة السلام في الكتاب.
- **ثم خاتمة وخلاصة.**

المحور الأول: سيرة موجزة عن الدكتور الفاضل: محمد الناصري.

قبل البداية في قراءة مضامين الكتاب؛ يجدر بي وضع ملخص للتعريف بأستاذنا الفاضل: الدكتور محمد الناصري، وإن كان غنيا عن التعريف، لكن لا بد من التقديم لهذه القراءة بإضاءات من سيرته الذاتية العطرة.

الدكتور محمد الناصري: حاصل على شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، باحث ومفكر مغربي، يعمل أستاذا للفكر الإسلامي بكليتنا العتيدة: كلية الأدب والعلوم الإنسان جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال، باحث بمركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب،[1] كما أنه يشغل مدير مجلة الترتيل الصادرة عن الرابطة المحمدية للعلماء، عضو مؤسس لمركز دراسات المعرفة والحضارة، مدير مختبر الحوار والمقاصد للدراسات والأبحاث، بجامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال.

ويتميز بالتفاني والاجتهاد والتواضع، ومن سماته الدقة في طرح المواضع، سواء في التدريس أو في الكتابة، ومن ذكائه العجيب أن يحرك المستمع والقارئ بأسئلة تشوقه إلى البحث عن أجوبتها وحفظها بعد ذلك بأسلوب سهل وبسيط.

1 د: محمد الناصري، ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطاع الشؤون الثقافية، إدارة الثقافة الإسلامية، دار الكويت، ط: الأولى: 1435هـ 2014م ص: 3.

ومن مؤلفاته:

1. العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، دار الهادي 2009م
2. ثقافة السلام بين التحصيل والتأصيل. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، 2014م.
3. الاجتهاد والتجديد: دراسات مهداة للمفكر رضوان السيد، مع مجموعة من المؤلفين، مجلة الإحياء، الرباط المغرب، 2014م.
4. موسوعة الفلسفة الإسلامية: جدل الأصالة والمعاصرة، مع مجموعة من المؤلفين، دار ابن النديم للنشر والتوزيع الجزائر، دار الروافد الثقافية، ناشرون، بيروت: ط: الأولى: 2016م
5. مسالة الآخر في الإسلام؛ نحو تجاوز لإشكالات في فقهنا الموروث، مكتبة الإسكندرية، مصر 2017م
6. المعرفة والإبستمولوجيا، مع مجموعة من المؤلفين، دار ابن النديم للنشر والتوزيع الجزائر، دار الروافد الثقافية، ناشرون، بيروت: ط: الأولى: 2017م
7. مقاربات معرفية في الإصلاح الديني، مع مجموعة من المؤلفين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: الأولى: 2016م.
8. في تفكيك خطاب التطرف، مع مجموعة من المؤلفين، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، 2018م.
9. في نقد مقولات التطرف الديني، من تقديم المفكر المصري د: محمد عارف. 2025م.
10. له مجموعة من المقالات والقراءات، في مختلف المواضع، كما شارك في عدد من المؤتمرات الوطنية والدولية.[1]

1 عن الرابطة المحمدية للعلماء، بتاريخ: 12 ماي 2019م.

المحور الثاني: دراسة وصفية للكتاب، الشكل، التصميم، الطبعة.

1ـ طبعة الكتاب: ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، من مؤلفات الدكتور محمد الناصري، من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، قطاع الشؤون الثقافية، إدارة الثقافة الإسلامية، سلسلة روافد، العدد:73، الطبعة الأولى منه كانت في صفر 1435هـ الموافق لينار 2014م، وعلى هذه الطبعة بخط واضح: يهدى ولا يباع.

2ـ شكل الكتاب وتصميمه:

أ ـ مما يثير الانتباه ما هو مكتوب على صفحة غلاف الكتاب، وذلك بخط وبشكل جميل يجلب نظر القارئ، وهو آية قرآنية تشير إلى أن الكتاب في مادته قائم على اسم الله في تحليل مضامينه، كما أنه يشير بذلك إلى أنه يبحث الموضوع المراد من خلال الشرع الحنيف وأصوله. فمما هو مكتوب على دفة الغلاف الآية القرآنية: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 30-31].

ب ـ تصدير للكتاب من إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكتاب، تنوه بالكتاب وبموضوعه الذي صاغه صاحبه بأسلوب يكشف عن المقصود بسهولة.

ج يتكون الكتاب من 204 من الصفحات بما فيها الإصدار والفهرسة.

تصميم الكتاب:

أ ـ : إدراج فهرسة المحتويات في بداية الكتاب في الصفحة 5.

ب ـ مقدمة في ست صفحات: من صفحة: 9 إلى ص: 15.

ج: مدخل تعريفي، لبيان مفهوم السلام؛ الدلالات الشرعية والسياسية، من ص: 15 إلى 51.

د: تقسيم الكتاب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أصول الرؤية القرآنية للسلام العالمي: المبادئ والأسس، من صفحة: 51 إلى 105.

الفصل الثاني: التقسيم الإسلامي للمعمورة من ثنائية دار الإسلام إلى دار الحرب، إلى الدار العالمية. من صفحة: 105 إلى ص: 133.

الفصل الثالث: الممارسة العلمية لمبادئ السلام العالمي في الإسلام، من صفحة: 133 إلى 190.

هـ خاتمة، من صفحة 190 إلى 192.

ينطلق الكاتب من اشكالية محورية مفادها " ما مدى قدرة قيم الإسلام على إرساء معالم السلام العالمي؟ وهل يستطيع معالجة أزمات الحضارة المعاصرة على اختلاف أنواعها؟ كيف تستطيع تلك القيم تصحيح مسيرة البشرية اليوم وتصويب منجزاتها الفكرية والثقافية والحضارية؟ هل هي قادرة على هذا الدور الإنساني المتجاوز للعوائق الجنسية والعرقية؟"[1].

هذا الاشكال على قدر كبير من اهمية، نظير تعقله بمواضيع وإشكالات بحثية كبرى تتصل بواقع الإنسان الحضاري على مستوى القيم والأخلاق وتنعكس على جميع مجالات كسبه "وما كثرة تلك الدراسات إلا دليل على حيوية مفهوم السلم والسلام وتأثره بالخلفية المعرفية والإيديولوجية للمروجين له. وهذا يستدعي من الباحث وقفة تعرج على مختلف الدلالات التي تقدم للمفهوم"[2].

من هنا تتضح الرؤية والغاية التي سعى الدكتور محمد الناصري إلى تحقيقها من خلال هذا الكتاب

"قد سعى الباحث محمد الناصري إلى إعادة فتح هذا الملف من خلال إبراز أصول الرؤية القرآنية للسلام، وتأكيد روح الأخوة الإنسانية في تعامل الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام مع الآخر، يهودا ونصارى ومشركين، وقد قدم نماذج من المعاهدات للتدليل على البعد السلامي في الرسالة الإسلامية"[3].

إن طرق الأبواب المعرفية لهذا الموضوع على قدر هام من الراهنية لارتباطه بالواقع الحضاري لإنسانية، وما تتخبط فيه من أزمات أخلاقية تهدد استقرار الإنسان وتخل بوظيفته الاستخلافية، لهذا نجد أن هذا الكتاب يدرس " استراتيجية المنهج الشمولي للقرآن في العالم الإنساني، ويبدو ذلك على خير وجه في

1 محمد الناصري المرجع السابق، ص:14
2 محمد الناصري، المرجع السابق، ص: 16
3 محمد الناصري، ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، روافد، الإصدار، 78، ص7؟

دراسة: التقسيم الإسلامي للمعمورة، ورؤية إمبراطورية، يتصدى لها الدارس بما يتجاوزها إلى عالمية الدار وعدم انقسامها"[1].

مما يعل العالم فضاء مشترك للإنسان على اختلاف انتماءه الحضاري والعرقي ويجعل منه شريكا في الكون مما يضمن قيم مبنية علاقات إيجابية مبنية على الحوار والتعارف والتدافع الإيجابي الهدف الأسمى منه هو تحقيق النفع العام للإنسانية.

المحور الثالث: السياق التاريخي والمعرفي لكتاب: الواقع والإشكال.

من خلال عنوان الكتاب وموضوعه، وتاريخ إصداره، يلفت نظر القارئ إلى الأحداث التاريخية التي عاشها العالم حينئذ، فالكتاب تمت طباعته 2014م ولا شك أن الإرهاصات الأولية لولادته كانت في عام 2013م حيث شهد العالم أحدثا كثيرة، هيمن عليها النزاع والصراع، وفتح ذلك أبوابا للحروب والعنف، ودك أدوات وأركان السلم والمهادنة في عالم بح صوته بركوبه أعلى سنام التطور والرقي التكنولوجي والرقمي، ودقت فيه نواقيس الحرب بكل أشكالها، واستقوي على الضعيف في كل مكونات ضعفه: المعرفي والاستهلاكي، إن صح التعبير، بكل أنواع القوة: الاقتصادية، والسياسية، والثقافية والإعلامية، والتكنولوجيا، كلها يجمعها اسم واحد، هو اسم الحرب الذي لا يفارقه العنف في كل مراحله، وبمختلف مكوناته وأصوله، "ولا شك أن ما يعرفه العالم من توترات حادة في العلاقات بين الأمم والدول والشعوب، والدلالات الحربية لذلك افسدت مجال العلاقات الدولية عموما، وشككت في البحث في السلام بالأخص، فتغيرت صيغ اللغة السياسية وتعابيرها الجاهزة أيضا تغيرا عنيفا..[2]

فقد هيمنت الصراعات في العالم حينها، خاصة في الشرق الأوسط، وخلقت أحداثا مأساوية كثيرة، بما خلفته "من دمار إنساني، وزيادة وتيرة الفقر والجوع والهجرة حول العالم، وكان لذلك أثر كبير في الواقع

1 رضوان السيد، تقديم كتاب: قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر " الحاكمية، السلام، التسامح...لدكتور محمد الناصري، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط:1،2023م، ج:1، ص:6.

2 د: محمد الناصري، ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطاع الشؤون الثقافية، إدارة الثقافة الإسلامية، دار الكويت، ط: الأولى: 1435هـ 2014مص: 12.

عامة، وفي الواقع العربي خاصة، إذ تسبب ذلك الصراع في تفتيت وحدة المكون الاجتماعي، وتهتك نسيجه المجتمعي، وإحداث الخلل العميق في بنى منظومة القرار.

هذا بالإضافة إلى مظاهر ذلك من مشاهد الدمار البنيوي والإنساني على حد سواء، مما تسبب في تصاعد مستوى الضحايا من الأبرياء، وإحداث العاهات المزمنة لأعداد كبيرة من الضحايا في البلدان التي تعرضت للهجوم.. إلى جانب إحداث الخلل النفسي والهلع والخوف لدى شريحة واسعة من المجتمع، على مستقبل حياتهم وحياة الأجيال المقبلة لمجتمعاتهم.[1]

وفي خضم هذه التحولات خرج هذا المولود الجديد المسمى: **ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل**، للدكتور الفاضل: محمد الناصري، والذي أبرز فيه أهمية السلام في إحداث منعطف جديد في التاريخ، يسوده الهدوء والسعادة والراحة، مما يبني مجتمعا كونيا إنسانيا، متلاحما متماسكا، خال من الحروب والتقاتل والعنف، وما يتركه ذلك من الدمار في البناء والإنسان، استرشادا بالدين الإسلامي الذي يضع الرؤية الشمولية للسلام، بحيث "يغدوا مفهوم السلام بمعنى إقامة الحق، وتبادل العلاقات والمصالح على أساس المساواة والعدل والحرية والمعاملة بالمثل، وعلى أساس عهود ومواثيق تكون ملزمة لجميع الأطراف، وبهذا فالسلم في الإسلام لا يعني بأي حال الاستسلام أو الضعف أو التنازل، كما يتنزه عن كل معاني الاستغلال أو القهر او التسلط أو الظلم أو العدوان.[2].

وهذا يدل على البحث العميق والواسع للمؤلف ـ حفظه الله ـ والقائم على مسايرة الأحداث والتطورات، وإنارة عقول الباحثين والقراء بما ينبغي أن تقوم عليه العلاقات عامة وخاصة. وهي قراءة منه أولا للواقع، ثم للنصوص والقواعد الشرعية المؤطرة ثانيا، ثم للفكر الغربي وما يقوم عليه من النزعات ثالثا، وهي قراءات لا يستغني اي باحث في هذا المجال خاصة. فكان هذا الكتاب دلالة على عبقرية كامنة اتصف بها الباحث ـ حفظه الله ـ ومادته التي يحتويها بين دفتيه تدل على ذلك، كما سنرى في المحور الخامس ـ إن شاء الله

1 شبر ابراهيم الوداعي، مقال له بعنوان: رحل عام المآسي، بمجلة الوسط، عدد: 4136 الخميس 2 يناير 2014م الموافق ل 29 صفر 1435هـ. بتصرف يسير.
2 المرجع نفسه: ص: 50.

فهذا الكتاب يمثل محور فكر الأستاذ الناصري تحليلا والتنزيلات هو امتداد للكتاب العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية الذي مثل رسالة التخرج للدبلوم الدراسات العليا المعمقة، فهو لبنته الاولى التي رسمت معاله المنهجية والمعرفية والذي كان في أصله أطروحة دكتوراه نال من خلال الدكتور الناصري شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية فرصت معالم التاب وتشكلت أصول المعرفية واستوى على سوقه المعرفية ليكون بذلك كتابا وجوابا لأسئلة والواقع القيمي المتنامية معرفيا.

المحور الرابع: منهج الكتابة في فكر محمد الناصري ،كتاب ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل نموذجا.

إن القارئ المتتبع للمتن الفكري للدكتور محمد الناصري يلمس غنى في المناهج والمعارف، فالدكتور الناصري يشتغل وفق نسق منهجي مفتح ينطلق من المرجعية القرآنية في الاستيعاب والشمولية قراءة وتحليلا ومناقشة فهو لا يلغي للقراءة مجالا ولا يكن لأيديولوجية ودا، منفتح في القراءة على جميع إنتاجات العقل البشري في شتى مجالات العلم والمعرفة مما يجعه منهجيته في الكتبة تتسم بالمسؤولية قراءة وتحليلا ونقدا، ولا ما يلمس في جميع كتاباته، فالناظر المتبصر في ثناياها يلمس غنى وتنوعا، فهو ينطلق من مقاربة تحليلية للمفاهيم الإسلامية الأكثر إثارة للجدال والنقاش الفكري، بعبارة أخرى الدكتور الناصري تعامل مع المفاهيم المتحركة والأكثر نشاطا في ساحة التداول الفكري ولا يتعامل مع المفاهيم الراكدة والميتة، "الدكتور محمد الناصري ينتمي إلى الجيل الجديد من الباحثين الأكاديميين الجادين، عرف منخرطا في دراسة الفكر الإسلامي قضاياه وظواهره، مناهجه واتجاهاته، أشخاصه ونماذجه، واقعه ومآلاته، متصلا بهذا الحقل بحثا وتدريسا"[1]، معروفا بأفكاره ومنهجيته" وتحليلاته ومطالعاته، متسمة بالاتزان والاعتدال وحس البحث والطرح الجاد، منتخبا القضايا والظواهر المهمة والحيوية على مستوى الخطاب وعلى مستوى العصر، معززا

1 زكى الميلاد، تقديم كتاب: قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر " الحاكمية، السلام، التسامح...لدكتور محمد الناصري، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط:1،2023م، ج:2، ص:5.

من مكانته الفكرية، ومرسخا من حضوره في المشهد الفكري العام الممتد على مساحة المشرق العالم العربي ومغربه، متابعا هذا المسار بعطاء بحثي وفكري متجدد ومتواصل"[1].

بعد البحث والقراءة المتأنية في الكتاب، لاحظت على حسب معرفتي المتواضعة بأن المؤلف حفظه الله قد استخدم مناهج عدة في هذا الكتاب، في أرقى صورها، وأبهى حللها، وهي : المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج المقارن، والمنهج البنيوي، والوصفي التحليلي، والمنهج النقدي .

أ ـ المنهج التاريخي: حيث اعتمد في بناء التصورات للكتاب على أحداث تاريخية ماضية واقعية، أدت إلى إحداث منعطفات في العالم، ومن ذلك قوله ـ حفظه الله ـ : ومباشرة بعد وقوع أحداث الحادي عشر من شتنبر؛ ارتفعت أصوات إعلامية وسياسية وفكرية في الغرب وفي مناطق أخرى من العالم، للإعلان عن تحقق نبوءة صدام الحضارات، وقد تعزز هذا الاعتقاد بما يعرفه العالم من حروب وصراعات، وتزايد التهديدات للأمن والاستقرار والسلام في كل ركن من أركان العالم تقريبا.[2]

ب: المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء النصوص عامة، سواء كانت نقلية شرعية، او عقلية فكرية، والخروج بنتيجة كلية مفيدة، وفي الكتاب نصوص متعددة مستخدمة وفق هذا المنهج، ومن ذلك قوله: وبالإمكان القول إجمالا: إن عقيدة التوحيد ـ وما تقتضيه من إيمان بوحدة الخلق، والدين، وما تفترضه من اعتراف بالاختلاف والتنوع ـ كانت الفيصل الأساس في تحقيق السلم والسلام واحترام حقوق الإنسان، وتحقيق التعاون الموصوف بالبر والتقوى بين البشرية جمعاء، إن عقيدة التوحيد ثمرتها الأساسية أمن وسلام في جوانب الحياة كلها؛ الفردية والجماعية والعامة.[3]

ج : المنهج المقارن: وذلك من خلال دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الأشياء، للوصول إلى الحقيقة العلمية المراد بيانها وإظهارها، وقد استخدمه في مواضع عدة في الكتاب، ويمكن أن يمثل له بقوله: إنه لا تناقض بين الإسلام وبين الديانات السابقة اتي اندرجت تحت عنوانه، ولا تضاد ولا مقاطعة ولا مفاضلة،

---

1 زكى الميلاد، تقديم كتاب: قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر " الحاكمية، السلام، التسامح...لدكتور محمد الناصري، دار الأمان، الرباط ، المغرب، ط:1،2023م، ج:2، ص:5.
2 المرجع نفسه ص: 12.
3 المرجع نفسه: ص: 74.

ومن هذا المنطلق فإن الإسلام يزيل كل أسباب النزاع الدينية والخصومات المذهبية، بعده البشرية كلها بشرية واحدة، وبعده الدين كلها دينا واحدا، ومن تم فتحقيق السلام، واحترام الإنسان، مطلق الإنسان، وتحقيق التعاون المثمر مع جميع الأطراف الإنسانية واجبات شرعية ملقاة على عاتق الإنسان المسلم من منطلق عقيدة التوحيد.[1] وعليه فجميع شرائع الأنبياء إنما هي سبيل إلى الدين الإسلامي، وبهذا فجوهر الشرائع السماوية كلها واحد..[2]

د: **المنهج البنيوي**: وقد استعمل المؤلف ـ حفظه الله ـ في الكتاب هذا المنهج خاصة في قراءة النصوص اللغوية، وبيان معان المفردات، من مشتركات ومترادفات إلى غير ذلك، من أجل بيان المعاني التي تدل عليها، كما في قوله عند البحث عن مفهوم السلام: قال ابن فارس: السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، ويكون فيه ما يشذ، والشاذ عنه قليل، فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى.[3] يمكن رد المعاني السابقة لمفهوم السلم جميعها إلى أصل واحد، أو إلى معنى أصيل تستبطنه هذه المعاني، بحيث يشكل الرابط بينها، ولا عجب في ذلك، مادامت المعاني كلها مستقاة من جذر لغوي واحد مادته: السين واللام والميم، والذي عليه أهل اللغة أن جماع معاني السلم هو الأمن والاستسلام، والسلامة من الآفات الظاهرة والباطنة.[4]

المنهج الوصفي التحليلي: ويتجلى هذا المنهج في وصف وتحليل الدكتور الناصري لواقع العلاقات بين الحضارات وما يسود العالم من أزمات أخلاقية كبرى تستدعي حلولا عاجلة للحد من فتنة الاقتتال، فالأستاذ لا يقف عند حدود وصف الواقع، بل يتعدى ذلك إلى تحليل الأسباب والدوافع وراء بروز هذه الأحداث وظهور هذه الصراعات.

المنهج النقدي: إن الناظر في كتابات الدكتور محمد الناصري المتمعن في دلالاتها المعرفية والمنهجية يلمس حضورا قويا للمنهج النقدي خصوصا هذا الكتاب موضوع الدراسة، نلاحظ أن المنهج النقدي

1 المرجع نفسه: ص: 65.
2 المرجع نفسه، ص: 71.
3 المرجع نفسه، ص: 19.
4 المرجع نفسهن ص: 22.

حاضرا بقوة خصوصا فقد بعض القضايا والمسلمات التاريخية التي حكمت منطق العلاقة مع الآخر هذه المسلمات التي لم تكن سوى انتاج اجتهادات شخصية في فترات زمنية محددة لكنت سادت لقرون وقرون وحكمت على العلاقات بالصراع بدل الحوار، فيتنقد هذه الأفكار والتصورات السائدة ويدعو إلى الدعوة إلى الحل القرآني باعتباره الحل الفعال لبناء علاقات إنسانية إيجابية.

المحور الخامس: المادة العلمية التي تناول بها الدكتور الفاضل : ثقافة السلام في الكتاب.

قد أسلفنا بأن الدكتور حفظه الله تعالى قد قدم الكتاب في تصميم ممنهج، ذكر فيه مقدمة ومدخلا وثلاثة فصول وخاتمة، كل واحد من هذه الأركان يقوم على ما قبله في تقديم الفائدة، وإذا كان الكتاب في طياته يتحدث عن مفهوم السلام في الرؤية الغربية والرؤية الشرعية؛ وقد أرسى الكتاب على أساس إشكالية كبرى "ما مادى قدرة قيم الإسلام على إرساء معالم السلام العالمي؟ وهل يستطيع معالجة أزمات الحضارة المعاصرة على اختلاف انواعها؟ كيف تستطيع تلك القيم تصحيح مسيرة البشرية اليوم وتصويب منجزاتها الفكرية والثقافية؟ والحضارية؟ هل هي قادرة على هذا الدور الإنساني المتجاوز للعوائق الجنسية والعرقية؟.

لقد جاء في إصدار الكتاب ما يدل على أن الشريعة الإسلامية أولت أهمية لمفهوم السلام في حيز كبير من نصوصها، من خلاله " سعى الباحث محمد الناصري إلى إعادة فتح هذا الملف من خلال إبراز أصول الرؤية القرآنية للسلام، وتأكيد روح الأخوة الإنسانية في تعامل الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام مع الآخر، يهودا ونصارى ومشركين، وقد قدم نماذج من المعاهدات للتدليل على البعد السلامي في الرسالة الإسلامية"[1].

ينطلق الكاتب من اشكالية محورية مفادها "ما مدى قدرة قيم الإسلام على إرساء معالم السلام العالمي؟ وهل يستطيع معالجة أزمات الحضارة المعاصرة على اختلاف أنواعها؟ كيف تستطيع تلك القيم

1 محمد الناصري، ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، روافد، الإصدار، 78، ص7.

تصحيح مسيرة البشرية اليوم وتصويب منجزاتها الفكرية والثقافية والحضارية؟ هل هي قادرة على هذا الدور الإنساني المتجاوز للعوائق الجنسية والعرقية؟"[1].

"وما كثرة تلك الدراسات إلا دليل على حيوية مفهوم السلم والسلام وتأثره بالخلفية المعرفية والإيديولوجية للمروجين له. وهذا يستدعي من الباحث وقفة تعرج على مختلف الدلالات التي تقدم للمفهوم"[2].

وعيا من المؤلف بأهمية المفهوم في تشكيل النسق المعرفي لأي علم من العلوم، باعتبار المفهوم هو مفتاح تنوير الفهوم وبلوغ حقيقة الأشياء، فالمفهوم كائن حي، بحيوية التجارب والمنجزات التاريخية والثقافية للمجتمعات البشرية. "إن المفاهيم ليست مجرد أداة تقنية تستجلب أو آلة مادية تشترى، بل هي كائن حي تنعكس عليه تجارب المجتمع، وبواسطته تنصهر فيها رؤيته للوجود وتختزل فيها تجاربه الخاصة التي تؤطر تلك الرؤية وتحدد لها مقاصدها وأهدافها"[3].

لهذا انطلق الباحث من تعريف مفهوم السلم لتعريف بحقيقته المعرفية وبعد الوظيفي في إحياء العلاقات الإنسانية وإضفاء التعايش والتعارف على طبيعة العلاقات بين الشعوب والأم فمعلوم "أن السلم، هي الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم من الأمم والدول التي لا تدين بالإسلام4.

لهذا يشكل هذا المفهوم نسقا أخلاقيا في الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيقه للعباد في المعاش ليحقق بذلك الإنسان وظيفته الاستخلافية والتعميرية "ويظل مفهوم السلام من المفاهيم المحورية في الشريعة الإسلامية، وهو رديف المصلحة الإنسانية التي جاءت الأحكام لرعايتها وتمكينها"[5] ذلك أن الشريعة جاءت للحفاظ على ما به صلاح الناس عموما في الدنيا والآخرة، ومتى رجعوا إلى نصوصها سيجدون ما يقيم عيشهم في الدنيا على أساس من العدل والرحمة والسعادة، دون الميول إلى بعض على حساب البعض الآخر، نعم قد أقرت مبدأ الاختلاف، ولكنه ليس على الوجه الذي يقع به التطاحن والتقاتل، بل على الوجه الذي

1 محمد الناصري المرجع السابق، ص:14
2 محمد الناصري، المرجع السابق، ص: 16
3 محمد الناصري، المرجع السابق، ص:16.
4 انظر، محمد الناصري، ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، وزارة الأوقاف، الكويت، ط، الأولى، 2014م.
5 المرجع نفسه، ص: 7

يقع به التوازن والاعتدال في الحياة، كما يقع التوازن باختلاف اليل والنهار، والظلمة والنور، والماء والنار، والذكر والأنثى... كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دِفَاعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 249] وقد أكد في سورة الحجرات بأن العلاقة بينهم يجب أن تفهم على أنهم من طينة واحدة لا يحق أن تفرق بينهم الأطماع، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13] وقد ظهر من يتهم المسلمين ومعها النصوص الشرعية بأنهم متورطون في العنف كما يرى صاحب مقولات: صراع الحضارات: صمويل هنتجتون: المسلمون الذين أصبحوا يشكلون خمس سكان العالم هم غالبا متورطون في أعمال عف مع الجماعات الثقافية المختلفة أكثر من الشعوب المنتمية إلى الحضارات الأخرى.. لكون القرآن ونصوص إسلامية أساسية أخرى تحتوي قليلا من التحريم بخصوص العنف، ومفهوم عدم اللجوء إلى العنف غائب في الفقه والممارسة الإسلامية.[1] وقد مهد لزرع فكرته هاته في عقول الشعوب وأكدها بعد وقوع أحداث الحادي عشر من شتنبر 2001م مما عزز من قوة "شيوع ثقافة صدام الحضارات مقابل تعزيز ثقافة السلام".[2] وقد استفاق العالم بعدئذ على المشاكل الكونية الإنسانية التي لا يمكن الخلاص منها إلا بالرجوع إلى الوحي الذي "يستطيع أن يقوم بالتصديق والمراجعة ثم الهيمنة على سائر المناهج المبسوطة، وإعادة صياغتها ضمن منهجه الكوني.[3]

والسلام من المفاهيم الأساسية التي اعتنى بها الفقهاء لكونه يتأسس على قاعدة العلاقة مع الآخر، ولما كان موضوع فقه السير الذي اعتنى بهذا المفهوم واسعا لم يحظ مفهوم السلام منه إلا بإشارات عابرة، ونظرا للأحداث والصراعات التي تقع بين حين وآخر في العالم، توجه العديد من الباحثين والدراسين إلى التأليف في هذا الباب، والتي يمكن "التمييز فيها بين نوعين؛ نوع أول عالج مسالة السلام في الإسلام في

1 المرجع نفسه، ص: 11.
2 المرجع نفسه ص: 14.
3 المرجع نفسه، ص: 14.

إطار موضوع العلاقات الدولية في الإسلام، وثان أفرد موضوع السلام بالتأليف.[1] وهي منبثقة في أغلبها عن التقسيم السائد للمعمورة: دار سلم ودار حرب ودار عهد.

ولما كان السلام من المفاهيم المشتركة التي تحتمل معان متعددة؛ حيث يراد به الصحة والعافية، والبراءة والمسالمة، والتحية، والصلح والانقياد، وضد الحرب، وأسماء الله الحسنى والحجارة.. وغير ذلك من المعاني التي نجد لها تداولا في القرآن والسنة... فإن الأمر يزيد صعوبة في تحديد معناه حيث ارتبط الأمر بمصالح الدول "فما يبدو سلما لدولة يبدو حربا لدولة أخرى، والعكس صحيح، وذلك ما يبدوا سلما في مدة زمنية معينة، قد نعده تهديدا أو نذيرا لحرب في مدة زمنية أخرى.[2] ونجده في الثقافة الغربية يدور حول معان ثلاث:

1ـ السلم ضد الحرب.

2ـ السلم يعني مجموعة من الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية الواجب توفيرها لضمان استمرار السلام.

3ـ السلام ضد العنف.

وقد أسس كانط لمفهوم السلام في الفكر الغربي، حيث وضع بنودا تعد المرجع الأساس في قيامه وتطبيقه على أرض الواقع، ومنها: "لا يحق لأية دولة فر حربها ضد دولة أخرى أن تسمح لنفسها بمثل هذه الأعمال العدائية التي من شأنها أن تجعل من السلام في المستقبل امرا مستحيلا؛ من هذه الأعمال: استخدام القتلة، السمامين، الاخلال باتفاقية التسليم، التحريض على الخيانة داخل الدولة العدوة..[3] وهذه البنود التي تمثل نظاما سلميا قائما تضبط ثلاث مستويات من السلم مترابطة فيما بينها:

"المستوى الأول: يضبط العلاقات بين الناس داخل كل دولة ويطلق عليه الحق المدني.

المستوى الثاني: يضبط العلاقات بين الدول، ويطلق عليه الحق الدولي.

1 المرجع نفسه ص: 16. 17.
2 المرجع نفسه، ص: 19.
3 المرجع نفسه، ص: 29.

المستوى الثالث: يضبط العلاقات بين الأفراد المنتمين لدول مختلفة، وهو الحق العالمي."[1].

من هنا يظهر أن السلم هو رؤية شمولية ممتدة تنطلق من الذات تأصيلا وتفعيلا فيمتد أثرها إلى العالم فالسلم في التفعيل يجب أن ينطلق من المحلية ليصل إلى العالمية تحقيقا وتصديقا.

أما في الفكر الإسلامي فنجد "فكرة السلام فكرة أصلية عميقة، تتصل اتصالا وثيقا بطبيعته وفكره عن الكون والحياة والإنسان".[2] ويمثل هذه المدرسة في أسسها: الإمام الشيرازي، إذ يعد "من أبرز المنظرين لنظرية السلم في العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي المعاصر من خلال كتابه: السلم والسلام".[3] إذ يرى أن الإسلام في نصوصه وتوجيهاته يسعى إلى إقرار مبدأ السلام بكل معانيه والقاعدة" الأولية في الإسلام هي السلم والسلام، والأصل هو اللاعنف، أما القتال والحرب فهي الاستثناء ولا مسوغ للحرب في نظر الإسلام مهما كانت الظروف ولم يأذن بالحرب إلا دفعا للعدوان..[4]

وقد وضع الإسلام أسسا وقواعد مؤسسة في كلياتها لمبدأ السلام بين الناس، وتوطيد العلاقات بما يضمن العيش الكريم بينهم جميعا، مع مختلف مشاربهم وألوانهم ومكوناتهم، ولا فرق بينهم في أسباب ووسائل العيش والخلقة إلا بما يقدمه من حسن الخلق والقيم الفاضلة، بما ينفعه في خاصة نفسه، وينفع غيره في مجتمعه، خاصة وأن الإسلام قد ظهر في زمن تعالت فيه أصوات الحروب والثأر، واستعباد الضعيف، وطغيان السادة، والحكم فيه للقوي، فقدم للناس أسسا تكون لهم منهجا في الحياة، لتصحيح المفاهيم حول ما يجب أن تكون عليه العلاقة بينهم، فالقوة والضعف، والغنى والفقر، ليس إلا وصفا يؤدي إلى التوازن المجتمعي، وليس أداة للتسلط والاعتداء على الآخر، وإرساء نظام العنف عليه، سواء كان موافقا في الدين أم مخالفا فيه، وعليه "جاءت نصوص القرآن الكريم متضمنة لمجموعة من المبادئ والأصول باعتبارها محددات منهجية يقوم عليها بناء السلام في الإسلام وتنظم علاقة المسلمين بغيرهم، وتنظم علاقة المسلمين بغيرهم، وترسم حدود هذه العلاقة وتضبط حركتها وتوجه مسارها نحو تحقيق معاني الإخاء والعدل والمساواة

1 المرجع نفسه: ص: 43.
2 المرجع نفس، ص: 45.
3 المرجع نفسه: ص: 45.
4 المرجع نفسه، ص: 47.

في العلاقات الإنسانية، ليتحقق السلم والسلام للإنسان في القرية العالمية..[1] وتوجه عقول المسلمين إلى أن هذه المبادئ كونية، لا تقتصر على قوم دون قوم، كما أنها لا تحرض أصناف على أصناف آخرين بل هي مبادئ تقيم فيه معنى الوحدة المتكاملة في مجتمع متكافل، ينتفع بعضه من بعض على أساس من الرحمة والعدل والتوازن،" هذه الرؤية الشمولية هي التي تحكم تعريفنا للسلام، ليغدو مفهوم السلام بمعنى إقامة الحق، وتبادل العلاقات والمصالح على أساس المساواة والعدل والحرية والمعاملة بالمثل..، وعلى أساس عهود ومواثيق تكون ملزمة لجميع الأطراف. وبهذا فالسلم في الإسلام لا يعني – بأي حال- الاستسلام أو الضعف أو التنازل، كما يتنزه عن كل معاني الاستغلال أو القهر أو التسلط أو الظلم أو العدوان"[2].

مبادئ تقرر أن الاختلاف اختلاف تنوع وتكامل، وليس اختلاف تضاد وتناحر، فالناظر في التاريخ يجد أن ظهور" الإسلام في زمن عدم الاعتراف بالآخر دينيا وحضاريا، فالحضارات الإسلام (الفرعونية، الإغريقية، الرومانية) وبقدر ما قدمت من نفع للإنسانية على المستوى المادي بقدر ما أكدت في المجال الاجتماعي على مبادئ الاستعباد التي حكمت على الآخر بالدونية والاحتقار والإلغاء"[3].

كل هذا الاقصاء والابعاد للآخر في الفكر الغربي والإمبراطوريات القديمة طمست هويته وانمحت معالمه مع ظهور الاسلام الذي اعترف بالآخر المخالف دينيا وجعل من الإيمان بطبيعة الاختلاف مدخلا للوحدة والائتلاف هذه المبادئ، يقودها التوحيد؛ "لأن إنسان التوحيد إنسانا صالحا مصلحا، محبا للخير ساعيا إليه، كارها للشر دافعا إياه، أهلا للتعايش السلمي مع عامة الناس، على اختلاف أديانهم ولغاتهم وألوانهم وأجناسهم وأوطانهم..[4] والتوحيد أساس لمجموعة من المبادئ التي تؤطر السلام في حياة المسلم خاصة والإنسان عامة، منها:

- ✓ التوحيد ووحدة الإنسانية.

1 المرجع نفسه، ص: 55.
2 محمد الناصري، المرع السابق، ص:49.
3 محمد الناصري، ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، المرجع السابق، ص:53
4 المرجع نفسه، ص: 61.

التوحيد بطبيعته الشمولية في تزكية الإنسان وتأهيله لوظيفة الاستخلاف يعتبر مدلال للإيمان بوحدة الإنسانة؛ وحدة الأصل والمصير فالإيمان "بوحدة الإنسانية من منطلق عقيدة التوحيد ضمانة أساسية لتحقيق السلم والسلام، إذ حكم القرآن الكريم على كل فوارق الحدود الجغرافية وصراع القوميات والأجناس بالذوبان من خلال تقريره لوحدة العنصر البشري" .

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: 13].

✓ التوحيد ووحدة الدين.

التوحيد مدخل لإبراز وحدة الدين وإدخال الإنسان تحت ماهية هذا الدين لتحقيق العبودية التامة لله، ليصبح هذا الإنسان صالحا في ذاته مصلحا لغيره يمتد أثره للفعل الخير ودفع الشر، "إنه لا تناقض بين الإسلام وبين الديانات السابقة التي اندرجت تحت عنوانه، ولا تضاد ولا مقاطعة ولا مفاضلة ، ومن هذا المنطلق، فإن الإسلام يزيل كل أسباب النزاع الدينية والخصومات المذهبية، بعده البشرية كلها بشرية واحدة، وبعده الدين كله دينا واحدا، ومن تم فتحقيق السلام واحترام الإنسان، مطلق الإنسان، وتحقيق التعاون المثمر مع جميع الأطراف الإنسانية واجبات شرعية ملقاة على عاتق الإنسان المسلم من منطلق عقيدة التوحيد"[1].

✓ التوحيد والتدبير السلمي للاختلاف بين الناس.

قد أسست الرؤية الأخلاقية القرآنية رؤية شمولية تكاملية لمبدأ التنوع والاختلاف تأسيسا وتنصيصا ودعما لفرص السلام العالمي بين الشعوب والأمم، تصديقا وتحقيقا لتعارف الحضاري إيمانا بالتعددية والاختلاف وصولا إلى السلمية والائتلاف.

"إن عقيدة التوحيد وما تقتضيه من إيمان بوحدة الخلق والدين وما تفترضه من اعتراف بالاختلاف والتنوع- كانت الفيصل الأساس في تحقيق السلم والسلام واحترام حقوق الإنسان، وتحقيق التعاون

1 محمد الناصري، المرجع السابق، ص: 65.

الموصوف بالبر والتقوى بين البشرية جمعاء، إن عقيدة التوحيد ثمرتها الأساسية أمن وسلام في جوانب الحياة كلها الفردية والجماعية والعامة"[1] .

- ✓ التوحيد، ومنظومة المساواة والعدل والحرية.

وتوجه هذه المبادئ المؤسسة على التوحيد بكون الدين الإسلامي عالميا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 106] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 158] مما يقتضي أنه ليس دينا لقوم دون قوم، أو أنه يضع أسسا لجماعة على حساب أخرى، بل إن أسسه وقواعده كونية تضمن للحياة سيرا مستقيما، ترفل فيها الإنسانية في ثوب من التعاطف والمودة بين شعوبها ودولها، فهو دين عالمي تقوم فيه هذه العالمية على مرتكزات مهمة، منها:

- ✓ الاستخلاف الإلهي للناس عامة.[2]

"إذ ليس في الخطاب القرآني مستثنيات وإنما الجميع، مسلم وغير مسلم، مكلف بإعمار الكون ومسؤول عن رعاية الأرض والحفاظ على خيراتها... الأمر الذي لا يتحقق إلا بتلاقي البشرية على سبيل معتدل من التآخي والتعاون والتعايش السلمي" .

يرتبط مفهوم الاستخلاف بمفاهيم كلية عامة تعبر عن مقاصد الشريعة وغايات الحق من الخلق، منها مبدأ الكرامة الإنسانية باعتبارها مدخلا تأسيسا لتحقيق الاستخلاف وأداء الأمانة وتعمير الكون" فالتكريم هنا، هو تكريم مطلق المعنى يشمل البشر كافة في الماضي والحاضر والمستقبل، ويمتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالإنسان في نظر القرآن مكرم، بصرف النظر عن أصله وفصله ودينه وعقيدته، مركزه وقيمته في الهيئة الاجتماعية، فقد خلقه الله مكرما، ولا يملك أحد أن يجرده من كرامته التي أودعها في جبلته وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى فالكرامة البشرية حق مشاع يتمتع به الجميع من دون استثناء" [3].

1 محمد الناصري، المرجع السابق، ص:74
2 المرجع نفسه ص: 96.
3 عبد العزيز عثمان التويجري، الحوار من اجل التعايش، دار الشروق، ط:1، 1998م، ص:126-127

- ✓ الحوار الإيجابي[1].
- ✓ الانفتاح على الآخر.[2]

إذ أن "عالمية الإسلام عالمية التسامح التي تلغي كل أشكال القصاء والتعصب، بل تشجع التعايش السلمي والاعتراف بالآخر المخالف دينيا وحضاريا، عكس النظام العولمي الذي يعلي من شأن الذات، ويعلن تميزها وتفوقها، ويمارس كل أنواع الإقصاء على مخالفيه، فتغدوا حضارته حضارة إنسانية في حدود الجغرافية، استعمارية خارجها.[3]

وعلى هذا الأساس فإن التصور القائم للتقسيم المعمورة إلى دارين، دار حرب، ودار إسلام، يؤجج نار الخطورة التي لا زال بعض المفكرين الغربيين يشعلونها بين فينة وأخرى، كما سبق ذلك مع الفكر المؤسس لصراع الحضارات، "وخطورته تكمن أيضا في أنه استثمر بغض النظر عن صحة ذلك أو عدمه في تأزيم المشكلة بين العالمي؛ الإسلامي والغربي، إذ استند بعض الغربيين في اتهامهم للإسلام بالعنف، ووصفه بالتطرف وأنه دين تنابذي إلغائي.[4]

ويفهم من كلام الفقهاء المهتمين بهذا الموضوع، بأن هذا التقسيم إنما ينشأ عن الوصف والاتصاف الذي يغلب على أهل الديار، بحيث "تضاف الدار إلى الإسلام أو الكفر لظهور الإسلام أو الكفر فيها، كما تسمى الجنة دار السلام، والنار دار البوار، لوجود السلامة في الجنة، والبوار في النار، وظهور الإسلام والكفر بظهور احكامها...[5] غير أنه كما ذكرنا هناك من يعتبر هذه القسمة طريقا إلى الاعتداء على الآخر، والتأسيس لمنطلق الدعوة الى الحرب القائمة بين أهل الإسلام وغيرهم، وهذا الفكر يعتبر "المرجع الأساسي للجماعات الداعية إلى المبادرة بالاعتداء والجهاد بالسيف، والتأسيس لمنطق الحرب الدينية بالاستناد إلى مفهوم الحاكمية والجاهلية..[6] وهذا قد يضر بالعالمية التي هي من صفات الدين الإسلامي، في رحمته وعدله ولطفه

1 محمد الناصري، المرجع نفسه ص: 99.
2 المرجع نفسه ص: 102.
3 المرجع نفسه: ص: 95.
4 المرجع نفسه، ص: 107.
5 المرجع نفسه، ص: 110.
6 المرجع نفسه ص: 117.

بالناس جميعا، وكونه دينا قائما على الحوار والتواصل السلمي المؤيد بالحجة والبرهان، ويضع منحى خطيرا يتخذه الأعداء سلما للوصول إلى بغيتهم في تشويه تعاليم الإسلام عند الآخرين، ويصورون للناس بأن هذا الدين دين عنف وإرهاب وتطرف ورفض للآخر، ولذرء فتنة هذا القول، قدم الإمام فخر الدين الرازي تقسيما يتوافق مع منطق العالمية الإسلامية، وهي "أن تكون الأرض دارين؛ دار إسلام، ودار دعوة، فدار الإسلام هي التي يدين أكث أهلها بالإسلام، وتعلوا فيها كلمة الله، ودار الدعوة هي التي على المسلمين أن يبلغوها الرسالة ويوصلوا إليها الدعوة، وأن أمم الأرض وشعوبها أمتان، أمة إجابة وهي الأمة المسلمة، وأمة دعوة وهي سائر الأمم الأخرى. المحور الخامس: المادة العلمية التي تناول بها الدكتور الفاضل : ثقافة السلام في الكتاب.[1]

وعليه إذا تجاوز الأمر مسألة الحوار والتواصل، مع غير المسلمين، ولم يجد ذلك نفعان وشاءت الأقدار أن تقع الحرب بينهم وبين غيرهم، فإن الإسلام لم يجعلها حربا شعواء تأتي على الأخضر واليابس، لأنها ليست غاية، يباد فيها البادي والقريب، بل هي وسيلة فقط للإصلاح والتصالح، ولما كانت كذلك وجب أن يلتزم فيها بأخلاق وقيم، توضع فيها حدود للتقاتل والتنازع إلى حين انتهائها، ولذلك "أوجب على المسلمين التحلي بالفضيلة والمبادئ الإنسانية السليمة في الحرب، وبين الأخلق التي على المسلمين مراعاتها قبل القتال وبعد انتهائه.[2] ولا يعني مشروعية الأخلاق الإسلامية في الحرب أنه يدعو إلى التناحر والتقاتل، والدمار والعنف، لا معاذ الله، بل إنه إن نزل ووقع ذلك بالاعتداء من الطرف الآخر، فإنه ينبغي الالتزام في حالة الانتصار بما تمليه الشريعة من القيم والأخلاق، "والجهاد الإسلامي يشكل في فلسفته وأبعاده الضمانة الأساسية للسلام العالمي.[3]

عند التأمل في قراءة الكتاب نلاحظ أن الأستاذ الفاضل، قد جعل المقدمة وما تلاها من المدخل والفصول؛ الأول والثاني، بمثابة دراسة تأصيلية لمفهوم السلام ومدارسه الفكرية، وأسسه ومبادئه وقواعده، وما يتبع ذلك في حالة وقع الخلاف ونزل ببين المسلمين وغيرهم من وجوب الالتزام بالأخلاق والقيم التي

1 المرجع نفسه، ص: 120/ 121.
2 المرجع نفسه ص: 124.
3 المرجع نفسه، ص: 132.

تضبط كل ما يصدر عن الإنسان، سواء في حالة السعادة أو غيرها. وجعل الفصل الأخير غاية لما سبق، وسماه: الممارسة العلمية لمبادئ السلام في الإسلام. فكأنه يجه رسالة للقارئ ويقول له: إذ أنت أدركت مفهوم السلام، وعلمت الاتجاهات الفكرية بين المدرسة الغربية والمدرسة الإسلامية، وحصلت على معلومات خاصة بمبادئه وأسسه وقواعده في الشريعة الإسلامية، واتضحت لك أخلاقيات الحرب التي هي آخر حل في حالة وقع الخلاف بين المسلمين وغيرهم، إن علمت كل هذا وحصلته فها أنا أضع بين يديك ايها القارئ العزيز هذا الفصل غاية لما سبق، ابين لك فيه كيف تنزل تلك المفاهيم وتلك القواعد السابقة في عالمك اليوم، وأنت تطبق مبادئ الإسلام على أحسن وجه اقتداء القرآن الكريم وبرسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي "تمثل حلا مناسبا لجال العلاقة بين المسلمين وغيرهم في زمننا المعاصر.[1] وذلك من خلال عرض لبعض الحلول من السيرة النبوية:

- ✓ وثيقة المدينة: النص والمضمون.[2]
- ✓ البعد السياسي والاجتماعي في الوثيقة.[3]
- ✓ البعد الحضاري للوثيقة وأخلاقية مبادئها.[4]
- ✓ واقعية الوثيقة وتوافق بنودها مع نصوص القرءان والسنة.[5]

وهذه عهود ومواثيق توضع عدل الإسلام وسماحته، وتبين للقارئ المطلع عليها بأن الإسلام يميل إلى الهدنة والصلح أكثر مما يميل إلى الجهاد، وأنه دين دعوة ورحمة، وهي وإن كانت قد كتبت لليهود فإنها "تؤكد جميعها على آمانهم وتمتعهم بعدل الإسلام وسماحته في مقابل جزية يدفعونها إلى المسلمين.[6]

وهي نفس المعاني التي نجدها في المعاهدات التي كتبها الرسول صلى الله عليه للنصارى كذلك، حيث تعج بالكرامة وحسن القيم والتعامل الذي لا مثيل له، بل إنهم لم يجدوا مثل ذلك في غير دين الإسلام،

1 المرجع نفسه ص: 137.
2 المرجع نفسه ص: 139.
3 المرجع نفسه، ص: 142.
4 المرجع نفسه، ص: 144.
5 المرجع نفسه، ص: 151.
6 المرجع نفسه، ص: 155.

والإسلام يقرر لهم أن الوفاء من الفرائض التي لا يمكن التخلي عنها بحال من الأحوال، ذلك أن "الوفاء بالعهود مبدأ عام من مبادئ الإسلام، يشمل التعامل بين المسلمين وبعضهم، وبينهم وبين غيرهم في وقت السلم وفي وقت الحرب على حد سواء.[1]

ولا يذهب القارئ بعيدا، فإن الدين الإسلامي لم يعترف بالحقوق للمخالف دينا من أهل التوحيد فقط، بل وسع الدائرة ليصل الأمر حتى إلى المنكرين لدين التوحيد، المعادين لرب العالمين، ويدل لذلك صلح الحديبية "ذلك العهد الذي أبرمه الرسول صلى الله مع مشركي قريش عام 6 من الهجرة.[2]

وأخيرا فإن الدين الإسلامي دين التواصل والحوار والكرامة والتعايش والرحمة، وهو يقيم العلاقة مع الآخر في جو من التفاهم والمبادرة بالقيم والأخلاق، مما يؤكد سمو الشريعة ومكانتها، وكمال قواعدها وأسس، وصلاحها لكل زمان ومكان، مما يظهر بوضوح بأن الإسلام "هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية، ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة التي تظلها راية المجتمع الإسلامي فيما يختص بالعشرة أو السلوك.[3]

ختم الدكتور الفاضل، كتابه بخاتمة أوضح فيها أن خطاب الوحي، قرءانا وسنة، قادر على مواكبة المتغيرات في أحوال الناس، وتنظيم علاقاتهم مع مختلف مشاربهم ومعارفهم وتطوراتهم وحتى دياناتهم، وأن القيم الإسلامية المنبثقة عن الوحي كفيلة بتقديم الحل الأمثل للعالم أجمع. وخلص إلى نتائج أهمها:

- أن السلام في الإسلام يرتكز على مجموعة من الأسس التي تضمن سعادة الناس.
- أن السلام في الإسلام قاعدة يجب أن تسود كل العلاقات بين الناس.
- أن الفكر الإسلامي قد أسهم بمعرفته المؤسسة على قواعد الشرع في تطعيم العلاقات بين الأمم والشعوب بالروح الإنسانية.

1 المرجع نفسه ص: 164.
2 المرجع نفسه، ص: 166.
3 المرجع نفسه، ص: 188.

وختم كلامه بقوله ـ حفظه الله ـ وستظل البشرية تعاني من أزماتها وتتخبط في متاهاتها، إلا أن توجه وجهها وعقلها وقلبها شطر الإسلام، الذي بإمكانه قيادة الحياة البشرية الحائرة إلى مثابة العدل والنظام والسلام.[1]

خاتمة:

بعد هذه الاطلالة الرائعة مع هذا الكتاب الرائع، والجولان بين أزهاره الملونة، وفصوله اليانعة، يحق لي أن أضع هذه الخلاصة في هذه السطور:

ـ يعد الكتاب من ثمرات علم استاذنا الفاضل الذي يتميز بالذكاء والدقة في تناول الموضوعات، والواقع يشهد له بذلك، وقد درست عنده منذ سنوات الإجازة إلى الآن، ولا نعلم عنه إلا أنه يتمتع بحس مرهف، واطلاع واسع، ومعرفة دقيقة بالأمور، مع حسن الاستشهاد، وسرعة الاستحضار.

ـ يعتبر مفهوم السلام من المفاهيم التي تنازع فيها المفكرون والدول، مما يجعله مفهوما ليينا ومرنا، يلويه كل واحد مما يقوي جانبه، ويستدل به على لتبرير أفعاله، حتى وإن كانت مناقضة له.

ـ يقوم السلام على قواعد وأسس ومبادئ إسلامية تجعل منه مادة خصبة لينتفع به العالم في كل متغيراته.

ـ يعتبر الكتاب ساحة خصبة جمعت كل ما يتعلق بالسلام، تنظيرا وتأصيلا ، وتنزيلا، وقد جمع فيه صاحبه ـ حفظه الله ورعاه كل ما من شأنه أن يقنع المخالف سواء من الداخل او من الخارج بما نظر له بما يتعلق بالسلام مفهوما، وقواعد وأسسا، وتنزيلا على أرض الواقع، وذلك بأسلوب سهل وبسيط.

من خلال ما سبق نستشف أن الدكتور الناصري قدم نظرية أخلاقية قرآنية تتجلى أبعادها الحضارية في ثقافة السلام بين الشعوب والأمم، باعتبار هذا الأخير سبيلا ودليلا نحو العالمية المشتركة ونحو بناء علاقات إنسانية تجمع بين البشرية على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، أعراقهم وأنسابهم، إيمانا بشرعية الاختلاف وعيشا في أخوية وائتلاف وصولا إلى التعاون المثمر الذي يعود على الإنسان بالخير في معاش

1 المرجع نفسه، ص: ص: 192.

والمعاد، فمبدأ السلام وفق الرؤية الأخلاقية القرآنية هو أفق جديد نحو إنسانية الإنسان بعيدا عن حتمية الصراع والنزاع من أجل إثبات الذات، بل السلام مبدأ لرسم معالم خريطة العلاقات الإنسانية مما يحقق الخلافة والتعمير ويعود بالنفع العام الشامل والتام، وبالتالي تتحقق غاية الحق من الخلق.

فبارك الله في أستاذنا، ونفع به وبعلمه، وجزاه الله عنا خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

لائحة المصادر والمراجع

- ✓ القرآن الكريم برواية ورش
- ✓ محمد الناصري، ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطاع الشؤون الثقافية، إدارة الثقافة الإسلامية، دار الكويت، ط: الأولى: 1435هـ2014م.
- ✓ رضوان السيد، تقديم كتاب: قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر الحاكمية، السلام، التسامح...لدكتور محمد الناصري، دار الأمان، الرباط ، المغرب، ط:1،2023م، ج:1
- ✓ شبر ابراهيم الوداعي، مقال له بعنوان: رحل عام المآسي، بمجلة الوسط، عدد: 4136 الخميس 2 يناير 2014م الموافق ل 29 صفر 1435هـ.
- ✓ زكي الميلاد، تقديم كتاب: قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر " الحاكمية، السلام، التسامح...لدكتور محمد الناصري، دار الأمان، الرباط ، المغرب، ط:1،2023م، ج:2.
- ✓ عبد العزيز عثمان التويجري، الحوار من اجل التعايش، دار الشروق، ط:1، 1998م.

مركز دراسات المعرفة والحضارة
Center of Knowledge and Civilization Studies

maarifa-center.com

maarifa2011@ gmail.com

facebook.com/almaarifa.centre

جميع الحقوق محفوظة © 2025

All rights reserved © 2025

لجنة الإعلام والتواصل